

الفائق في غريب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم .
الحمد لله الذي فتق لسان الذبيح بالعربية البينة والخطاب الفصيح وتولاه
بأثره التقدم في النطق باللغة التي هي أفصح اللغات وجعله أبا عذر التصدي للبلاغة
التي هي أتمُّ البلاغات واستل من سلالته عدنان وأبناءه واشتق من دوحته قحطان
وأحبياءه وقسم لكل من هؤلاء من لبيان فسطا وضرب له من الإبداع سهما وأفرز له من
الإعراب كغلا ; فلم يخل شعبا من شعوبهم ولا قبيلة من قبائلهم ولا عمارة من عمائرهم
ولا بطونا من بطونهم ولا فخذوا من أفخاذهم ولا فصيلة من فصائلهم من شعراء مفلحين
وخطباء ماصقين يرمون في حدق البيان عند هدور الشقاشق ويصيبون الأغراض بالكلام
الرواشق ويتنافثون من السحر في مناطم قريضهم ورجزهم زقصيدهم ومقطعاتهم وخطبهم
ومقاماتهم ; وما يتصرفون عليه فيها من الكناية والتعريض والاستعارة والتمثيل وأصناف
البديع وضروب المجاز والافتنان في الإشباع والإيجاز مالمو عثر عليه السخرة في زمن
موسى E والمؤخِّذون واطلعه أولئك المشعوزون لقعدوا مقمورين مقهورين
ولبقوا مبهوتين مبهورين ولاستكانوا وأذعنوا وأسهبوا في الاستعجاب وأمعنوا ولعلموا أن
نفثات العرب بألسنتها أحقُّ بالتسمية السخرة وأنهم في ضحاح منه وهؤلاء بحاجوا
في البحر . ثم إن هذا البيان العربي كأنه عزت قدرته مخاضه وألقى زبدته على
لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام ; فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل وما من
مصقع ينهاه إلا رجع فارغ السجل وما فُرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع
الحصان الموطَّه لا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نُقبة الأدوم
قال عليه السلام أُوتيت جوامع الكلم . قال أنا أفصح العرب بيدي أني من قريش
واستُرعت في بني سَعْد بن بكر